



منشورات جامعة اليرموك
عمادة البحث العلمي
والدراسات العليا

إتباع الايقاع في اللغة العربية مقاربة السنية في حركية اللغة

عبد الحميد الاقطش
جامعة اليرموك ، اربد ، الاردن

مستق من
البحاث اليرموك
« مجلة الآداب واللغويات »

المجلد الثاني عشر ، العدد الثاني ، ١٩٩٤ ، ص ١٤١ - ١٧٧
جميع الحقوق محفوظة لجامعة اليرموك ، ١٩٩٤

إتباع الإيقاع في اللغة العربية مقاربة ألسنية في حركية اللغة

عبد الحميد الأتقش
جامعة اليرموك، اربد، الأردن

ملخص

تناول الدراسة بالبحث موضوع "الاتباع اللغوي الإيقاعي" بهدف: بيان الصياغة الفنية التي تتكاثر بها أمثته، وبيان دوره في تكثير الثروة المعجمية الخاصة بالعربية، وأيضاً بهدف الوقوف على الطاقة التعبيرية التي يستشعرها ابن اللغة وهو يتعاطاه في حياته اليومية.

وتقوم الدراسة على مادة لغوية تم تجميعها، بتفريغ ما سجله العمل الميداني عند القدماء الذين انشغلوا بمسألة الاتباع، وباستقراء ذاتي لمجموعة من النصوص النثرية التي كثرت بها الهندسة اللغوية في الألفاظ والتعابير، وباستقطاق خلفي أحكمه - منذ زمن - كلما عايشت لغة مثقفين وكتاب ممتازين، وكذلك اهتمت الدراسة بمشاهدة الناس من واقع الحياة اليومية كما هي عليه حالياً عند الناطقين بها في الأردن.

وحاولت الدراسة أن تنتفع في معالجة النصوص، بالبعد الثقافي التراثي، والثقافي الألسني المعاصر، وقبل معسرود المراجع توجد هوامش وتعليقات، تفيد بصورة ثانوية في خدمة الإطار العام للدراسة.

١. رؤية تاريخية

كانت الحاجة أكثر إلحاحاً لدى أهل الحل والعقد من المسلمين في القرن الثاني الهجري، نحو المسارعة في تأسيس مدرسة لغوية عربية، ذات طبيعة تربوية، تهتم بتعليم وتعلم لغة عربية فصيحة وموحدة^(١)، تكون أداة للتواصل الثقافي بين العرب أنفسهم وبينهم وبين اخوانهم من المسلمين، أو مواليتهم من أهل الذمة، وقد استثار أصحاب الأمر

بهذا الخصوص عزم أهل العزم - بالثناء وجزيل العطاء - ونجحوا في فرض مستوى لغوي، رفيع في أعين الناس بمعانيه ومبانيه، وخضعت للنحاة واللغويين أقلام كتاب النثر، وبدرجة أقل صرامة خضع الشعراء، وعولج بالنحو فساد اللفظ، وبالمعجم فساد المعنى.

وكان التقدم في مجال النحو مذهباً من حيث نضج المعالجة وثبات المصطلح، وسرعة الانتقال إلى برمجة تخصصات في اللسانيات النظرية، مثل نظرية العامل، والحذف والتقدير، والتأويل، والتعدد الإعرابي، وغير هذا من المسائل التي تغلف اللغة أكثر مما تعلم محاكاتها^(٣). وفي المقابل كانت نشاطات مسار المعجمة تتراسل بتؤدة أقل من مدرسة النحو، وعلى حين وقف النحاة بالاحتجاج عند الفترة التي ضعف بها شأن البادية، فقلت الرحلة إليها في نهاية القرن الثاني الهجري، نرى اللغويين مستمرين في الاتصال مع البدو، لاسيما بدو جزيرة العرب، وبدو الجزيرة الفراتية إلى أواسط القرن الرابع الهجري، على نحو ما يفهم من صنيع الأزهري في تهذيب اللغة.

وكان جلّ الركاز اللغوي الذي تم على أيدي العلماء الأفاضل، ممن انشغلوا بالمعجمة مبكراً موجهاً - وفق معيار علوي من نوي الأمر - إلى قصد التحكم في مسار اللغة، بما يخدم الدين الإسلامي ويخدم الهوية الوطنية، ولكي يمتد تواصل الأجيال بلغة مشتركة على مر الزمان، فما كان عملهم تسجيلاً لواقع الحياة اللغوية كما هي عند الناطقين بها، بل كان تسجيلاً لمفردات لغة الفكر والثقافة، مع عمد الانحياز إلى البداوة والتعربة^(٤).

ويُستشف من مكتوبات مرحلة التدوين وجود خلاف علمي بين العلماء، حول الكيفية لا الماهية التي ينبغي بها تقديم التغذية المعجمية. فمن جهة هناك متعلم تحسّل له اللفظ ويريد له شرحاً أو ضبطاً، ومن جهة أخرى هناك متعلم في ذهنه موضوع أو معنى، ويريد أن يجمع عليه ألفاظاً، وكلا الأمرين بهما تداخل، وهما معا من حاجات التعليم الوظيفي للغة. ويظهر أن الفكر اللغوي الذي أعطى أهمية أعلى لفهم مفردات القرآن الكريم والحديث الشريف قد اتجه نحو معجمة تخدم اللفظ، على حين اتجه نحو معجمة تخدم الموضوع، الفكر الآخر الذي رام تعليم اللغة لغرض التواصل أولاً.

ويشيع تقليدياً مصطلح "معاجم الألفاظ" على صنيع فريق، ومصطلح "معاجم الموضوعات" على صنيع الفريق الآخر. وكانت معاجم الموضوعات إلى بداية القرن الرابع الهجري، هي النشاط اللغوي الأوسع انتشاراً والأكثر أهمية. وكان الفكر اللغوي المعجمي الأول شديداً في الصلابة بتوظيف اللغة نحو الجانب المحافظ من الأنماط الأدبية، ونحو جغرافية أناس تلك الأنماط، شأن العهد الكلاسيكية الغابرة في أوروبا، وصنيع المدرسة اللغوية السكندرية الإغريقية في مصر في القرن الرابع الميلادي^(١)، والباحث سيعود خالي الوفاض إذا هو رام رسالة في الإتياع اللغوي على موائد علماء ذاك الأوان، إذ الإتياع اللغوي لا ثمرة عملية له تفيد في تقويم لسان أو تصحيح كتابة، بل له طاقة تعبيرية مُحسنة في لغة الحياة اليومية. والخاصة كانوا وما زالوا يَزُورُونَ عن تثقيف الناس ببيان من لغة العامة؛ وإذا هم عدوا الإتياع اللغوي من أنواق العامة فمن الطبيعي أن يعرضوا عنه، وأن يحرصوا على أن لا تظهر ترجمات أفكارهم إلا بوسائط اللغة الفحصى.

على أن الكاتبين في المعجمة العربية قبل القرن الرابع الهجري، وإن انشغلوا بمفردات اللغة الفصيحة، فقد ذخرت مكتوباتهم بأمثلة من مفردات العامية، وبأمثلة إتياعية متداولة كتداول الشواهد النحوية. وكان الاحتفال بتلك الأمثلة على شاكلة الاحتفال بالغريب والنادر من كلام العرب، ومن الأعلام الذين رَووا إتياعات لغوية: أبو عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ)، والفراء (٢٠٧ هـ)، وابن الأعرابي (٢٢٣ هـ)، وأبو حاتم السجستاني (٢٥٤ هـ). وأبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤ هـ) وهذا الأخير يعد أكثر الشخصيات بروزاً في حقل الغريب، إذ هو بحق عصارة الأشياخ الأعلام قبله، والامام الثبّت للكتب التي ألفت بعده، وكتابه المهم في هذا الباب من علم اللغة هو "الغريب المُصنّف" تقول الرواية إنه ألفه في نحو أربعين سنة، وبه عقد باباً للإتياع وفسر إتياعاته بعناية وحذق، ومعلوم أن أبا عبيد مختص ومُتمرس جداً في تفسير النادر والغريب.

حين أقبل القرن الرابع الهجري كان العلماء قد تواضعوا على الانصراف عن جمع اللغة، وتوقف الاستشهاد - فلا خلف بعد السلف - واتجه الفكر اللغوي إلى نشاط جديد يعيد مناقشة المادة المتاحة، ويخرج منها بحثاً جديدة. وصارت صناعة المعجمة مجال

التمرين على إظهار التفوق والبراعة، حتى ليعد القرن الرابع بحق قرن المعاجم العربية، ففيه ألف أكبر عدد منها، وفيه أفردت لظاهرة الاتباع أبواب خاصة ضمن تلك المعاجم. فعل ذلك ابن دريد (٣٢١ هـ) في جمهرته، وأبو علي القالي (٣٥٦ هـ) في أماليه، وابن سيده (٤٥٨ هـ) في مخصصه. وألف أبو الطيب اللغوي (٣٥١ هـ) مذكراً في الاتباع، وألف ابن فارس (٣٩٥ هـ) مذكراً مشابهاً، وجمع السيوطي (٩١١ هـ) جهود السابقين في كتاب أسماه "الإلماع في الإتياع" وإلى ذاك الأوان توقف رصد الظاهرة وتوارت إلى الظل من اهتمام اللغويين.

٢- مفهوم الإتياع لغوياً واصطلاحياً

الوقوف على مفهوم الاتباع، وتتبع تطوره بمنهاج علم الايتمولوجيا اللغوية (Etymologie) يستوجبان من الباحث أن يعرف الدلالة اللغوية التي يحملها الجذر الاشتقاقي لمادة "تبع"، وأن يعرف الدلالة الاصطلاحية للمادة عند أهل صناعتها ممن صيروا الإرث اللغوي في هذا الباب علماً. وتكاد الدلالة اللغوية لمادة التاء، والباء، وما يتلثما وهي العين تدور على أصل واحد، لا يشذ عنه من الباب شيء وهو "التلو والقُفُو"، كما عبر عن ذلك ابن فارس صاحب معجم مقاييس اللغة، فأما الدلالة الاصطلاحية عند القدماء فكانت غير متوحدّة. وقد أمكن لنا بعد إمعان فكر أن نتبين إمكانية حدوث تطور تاريخي في الرؤية الإتياعية، مما أدى بالتالي إلى تعددية اصطلاحية، ونتصور الأمر وفق النحو الآتي :-

- مرحلة أولى فيها يتوافق المعنى اللغوي مع الاصطلاح في الإشارة إلى عملية كلامية بها تكرر يحاكي العبارة المسموعة نغماً لا دلالة، ويكاد القياس يكون مطرداً على أن يُصنّف من الاتباع كل مركّب لغوي متكون من دالين لهما دلالة أحادية مفادة من اللفظ الأول، فأما اللفظ الثاني فمفرغ من أية دلالة معجمية، ولكنه على نسق وصياغة الأول شكلياً - هكذا يفهم من مرويات علماء التدوين الأوائل، أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، ويفهم من مرويات علماء التنظيم اللغوي الذين أعقبوهم مثل الفراء والهروي وثلعب، وفي صفحات لاحقة سنُخصّ هذه النقطة بمزيد من المعالجة.

- مرحلة ثانية استمر فيها مفهوم الإتياع بالنهج السابق، ولكن مع بداية نامية لتوسع في مفهوم معنى التلازم بين الدالين، فصار يندرج في الباب نشاطات لغوية بها دالان لغويان، لكل واحد منهما دلالة معجمية مستقلة به. وهكذا تفهم مروييات الإتياع عند ابن دريد والشعالبي وابن سيده والجوهري، وستخص هذه النقطة بمزيد من البحث أيضاً.

- مرحلة ثالثة فيها صار المعول في منهجة الإتياع منصباً على معنى الدال الثاني من مركب الإتياع، فما كان بلا دلالة معجمية فهو باق تحت مصطلح "الإتياع" شأن المرحلة الأولى، وما كان واضح المعنى أو يمكن أن يكون له بلطف الصنعة معنى فهذا الصنف كان من النقاط الساخنة، ويؤثر التوتر عند القدماء، فمن مدرج إياه في الإتياع ومن مخرج له إلى أبواب أخرى غير إتياعية مثل التوكيد والمشاكلة والمائلة ونحو من هذا.

ونحن نحتاط في هذا التوزيع الثلاثي مؤكدين أنه توزيع اصطلاحى، إذ لا نزع من الانتقال من مرحلة إلى أخرى كان يجري سريعاً وحازماً، بل كان يقع قليلاً قليلاً وربما بقيت رواسب موروثية في كل مرحلة من أختها، وتلك مسألة مقبولة جداً في الدراسات اللغوية المعاصرة، (وتوصف بالنماذج "المتحجرة") وعند البلاغيين والنقاد والقراء والمفسرين ترد مصطلحات إتياعية لكنها ليست محط اهتمام هذه الدراسة^{٢٧}.

٣- الصياغة الفنية

لكل لغة من اللغات الطبيعية هيكل عظمي تنماز به عن غيرها، وتتعين لها وفق أطرها الخارجية هويتها، التي لا تتغير كثيراً بما قد تتعرض له اللغة من عافية ونمو، ومن فساد وهرم، فاللغة والكائن الحي الذي تسكنه وجهان لشيء واحد، وكل متغير يعيشه المجتمع لابد أن ينعكس على اللغة سلباً أو إيجاباً. ومن المقطوع به أن اللغات لا تتصرف فيما تبنيه أو تفقده من ركازها اللغوي بطريقة واحدة، ولكل لغة وسائطها المعلومة لتكوين مفرداتها، وربما تقاسمت مع غيرها بعضاً من الوسائط لكنها تبقى مستحبة لآلية معينة أزيد من غيرها.

ومن حقبة مبكرة أدرك اللغويون العرب الطريقة الفعالة في توليد كلمات لغتهم، فخصوصاً بعدد وفير من الدراسات والمعالجات، وتلك هي طريقة "الاشتقاق" أكثر الوسائل حياة في الساميات جميعاً، ولا تزال تكتسب قوة لها مع الأيام، ويتحمس لها اللغويون الكبار، ويوظفونها في تكثير مفردات المعجم العربي من أصول عربية وغير عربية، ومعلوم أن طريقة "الاشتقاق" بها هندسة لغوية منظمة، حيث تحتل الأصول السواكن موقعية ثابتة، ثم يجري التوسيع من خلال وحدات لغوية معينة ومحدودة العدد، فتوضع من تلك الأصول في صورة زوائد إحاطة -سوابق أو لواحق- أو زوائد وسطية أو كليهما معاً.

وتحليلات القدماء اللغوية في أبنية المشتقات خاصة تُظهر منهجيتهم المتقدمة على مستوى اللغويات النظرية والتطبيقية معاً، فهم من جهة توصّلوا إلى صياغة قوانين عملية بدرجة كبيرة بالنسبة إلى كيفية بناء المشتقات، ومن جهة أخرى قدموا بحوثاً نظرية شيقة حول أصل "الاشتقاق"، وكانوا خصّصوا مساق "التصريف والاشتقاق" بمفردات اللغة ذات القوالب الشكلية الجاهزة من الأسماء والصفات والأفعال، واستبعدوا المفردات التي تكون صورها الاملائية هي مبانيها الصرفية من الأدوات والظروف والضمائر.

وتراث كتب الأبنية الضخم ينّظم فقط الأفعال والأسماء والصفات. وتُقدّر أبحاث متأخرة مفردات اللغة الثقافية من هذه الأجناس الثلاثة بسبعة آلاف مادة لغوية، ينتمي أكثر من نصفها إلى فصيلة الاسم الدال على مسمى^(٧).

ويتفق اللغويون على أن نشاط اللغة وحركيّتها والتغير في دمعها، إنما يرى في هذه المجموعة من القوالب اللغوية المتنامية، فالاكتشافات والمعرفة الجديدة والهجرات اللغوية وكل قصْد إلى ظَرْف جديد في المأكّل والملبّس والمشرب ورشاقة الكلام وغير هذا مما تقتضيه أحوال الحضارة جميعه تتفاعل معه قوالب الصفات والأفعال والأسماء ولا تتفاعل معه قوالب اللغة الجامدة. من الأدوات والضمائر والظروف، لأنها مجرد وسائل ربط تتطلبها علاقات النظم في القوالب الأولى.

والألسنيون اليوم بدورهم لا يحتسبون من ميكنة التغير اللغوي إلا الأجناس اللغوية المتنامية. وقد حققوا فيها نجاحات عالية على مستوى النظريات العملية والعلمية، فاما الأجناس الثابتة فهم يكتفون بالتركيز على جوانبها الوظيفية ويبتعدون عن تأصيلها اللغوي رغم ما قد حققوه في التأصيل من نجاحات^(٨).

على أن التوليد اللغوي في الاشتقاق وإن كان المظهر السائد في صياغة أجناس اللغة المتنامية؛ فإنه ليس الطريقة الوحيدة فيها، لأنه توجد مفردات عديدة لا تعتمد في صياغتها على ما هو متاح في أنظمة الاشتقاق العادية، كما هو في مسألة (الرباعي من الأفعال والأسماء)، ومسألة (الدخيل والمعرب)، بل إن الجهود اللغوية العربية في معالجة البنية الصرفية لهذين النوعين من المسائل لم تحرز بعد تقدماً نوعياً، وما زال البحث فيهما دون المستوي المطلوب، ولا تزال الجهود اللغوية تتعامل معهما بطريقة وصفية إلا من جراحات تجميلية بسيطة.

وحصر جميع الوسائل التي تتخذها العربية في بناء ألفاظها معوز بعد لشيء أعمق من هذه الملاحظات العابرة، وليس هذا مقامها، ولكننا نخلص مما سبق إلى أنه توجد في العربية صور أساسية وأخرى ثانوية في صياغة المفردات اللغوية، كشأن كل اللغات في هذا الباب. وإلى الصور الأساسية تنتمي تراكيب جمليّة وأخرى غير جمليّة مثل : تراكيب الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره. وهذان النمطان من التراكيب الإسنادية التامة المعنى، وهما قوام اللغة أصلاً، ومثل : تراكيب الصفة والموصوف، والعدد والمعدود، والمضاف والمضاف إليه. وهذان النمطان من التراكيب غير الإسنادية، ولكنها كالأولى وفيرة وهامة وضرورية لكيان اللغة. فاما الصور الثانوية : فهي قليلة العدد قليلة الأشكال، ولا تحتاج إليها المستويات اللغوية الثقافية كثيراً، ولا يخصصها الدارسون باهتماماتهم إلا عرضاً. وعادة هي تراكيب غير إسنادية ومنها في العربية : تلك التي تأخذ مسمى (أسماء الأفعال)، ومسمى (خوالب إفصاحية)، ومنها ما هذه الدراسة بصدد معالجته : وهو (مركب الإتياع)، ونحن نجرى الحديث عن صياغته الفنية وفق المحاور الآتية : أنماطه الشكلية، وعلاقاته النحوية، وتأصيل التابع، وحروف الإتياع، ومباني الإتياع، وأخيراً حركته الإعرابية.

أنماط الإتياع

نستطيع من خلال ما تجمع لدينا من الأمثلة أن نقول بوجود صنفين من الأنماط الشكلية التي تندرج تحتها المركبات الإتياعية، ونحن نفصل القول فيهما على النحو التالي :-

- أ- نمط فيه العلاقات اللغوية قائمة على مبدأ المساواة بين المعاني. ونسميه "إتياع المزاوجة".
- ب- نمط فيه العلاقات اللغوية قائمة على مبدأ التضمن بين المعاني ونختار له تسمية "إتياع الإيقاع".

إتياع المزاوجة

وأمثلة هذا الصنف قليلة في كتب التراث، والصياغة الفنية لمركبه سهلة؛ تقوم على وجود مركب متضام من دالين، لكل واحد منهما دلالة مستقلة في المعنى، والعرف اللغوي يجري على عرضهما معاً. فإن ذكر الدال الأول استدعى ذهن تبعاً الثاني، مع لزوم أواخر الكلم في الدالين لِرَوِيٍّ واحد ولسجعة واحدة. وربما أحوجت المزاوجة في هذا المركب إلى إجراء تعديل في الصياغة الصرفية للدال الثاني، وأسفله نماذج منه :

- "سَقِيًّا وَرَعِيًّا" وإيماناً ومَغْفرة للباقيات علينا يوم نرتحل. (إتياع أبي الطيب ص ٤٩)

- ماله مَالٌ ولا عَالٌ (إتياع أبي الطيب ص ٣٦).
- ومنه وظنه بعضهم حديثاً " من حَفَنَّا أو رَفَنَّا فَلْيَتْرَكْ " (مجالس ثعلب ٢/٤١٧).
- لقد كان في نَحْيِي عجوزك فاضح "وعَارَ شَنَار" خزيه غير بائد (التبسيهات ص ٣١٦).

- وقال فيلسوف : "العقل أُمُورٌ بالمعروف، ونُهُوٌ عن المنكر" (البصائر ٤/٢٩٧).
- يقال الرجال ثلاثة : "هَيْنٌ لَيْنٌ يُصَدِّرُ الأُمُورَ مَصَادِرَهَا، وآخر يَنْتَهِي إلى رأي ذي اللب والمقدرة. فيأخذ بقوله، وآخر "حَاثِرٌ بَاثِرٌ" لا ياتمر لرشد ولا يطيع المرشد (إتياع القالي ٢/١٥٦).

وثمة صور ثانوية من إتباع المزاوجة منها ما يقوم على مبدأ الثلاثية في الإتيان، ومنها ما يقوم على مبدأ المساواة السلبية في المعاني.

المزاوجة الثلاثية ، وهذه تحافظ على المساواة في المعاني، ولا تنحرف عن شكلية الوفاق والاتفاق في الوزن والروي . من ذلك :

- روي عن عقبة بن ربيعة قوله في فرس ابتاعه : هو الله "أَشَقُّ أَمَقُّ حَنَقٌ" قال الأصمعي معناه الطويل (المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/١).

- روى أبو عبيدة عن الكسائي أنه يقال : "أَخَذَهُ بِحَذَائِفِرِهِ وَجَذَائِمِرِهِ وَجَرَامِيزِهِ" أي برمته، (التنبيهات ص ٢٧٥).

- وفي الحديث : "اللهم بارك لها في مَحْضِنِهَا وَمَخْضِهَا وَمَذْقِهَا" ، وأبعث راعيها بالثَّوْرِيَانِ الثَّمَر" (أسد الغابة، ٩٦/٣).

- وفي الحديث : قول النبي صلى الله عليه وسلم : "نِعْمَ الشَّرِيكُ السَّائِبُ لَا مَشَارِي وَلَا مَارِي وَلَا صَخَابُ" (الأزرق ٢/٢٥٩).

- ويقال : "أَجْمَعِينَ أَكْتَعِينَ أَبْصَعِينَ" ، (إتباع الحلبي ص ٧٣)، وهي عبارة كثيرة الورد في شواهد النحاة.

إتباع المساواة السلبية ، والتساوي في هذا الإتيان هو من قبيل التباين في المعاني ومن أمثله :

- نعوذ بالله من "الْفَرَحِ بَعْدَ التَّرَحِّ" (إتباع ابن فارس ص ٦).

- قال عثمان : يا علي قم فاجلده، فقال علي : قم يا حسن، فقال حسن : وَلِّ حَارَهَا من تولى قارها. (صحيح مسلم ص ٢٧٩).

من الأمثلة أعلاه يتضح أن هذا المركب يجري على معيار الصحة اللغوية في العربية، والحاجة لمثله إنما هي لتقوية المعاني بمترادفات يكون النغم فيها أمراً عذباً، يحرك أهواء النفوس، ويثير حميا العواطف، على نحو ما يُلاحظ من أثر الانفعالات في سماع النثر الخطابي، والشعر الرجزى وأب المكفوفين، وهذا الإتيان أُلْقِيَ بأدب السجع والصنعة، لأن جميع الألفاظ هنا لها مدلولات اجتماعية

معهودة ذهنياً، ولها اشتقاقات صرفية واضحة. ولسنا أبدأ في هذه المركبات أمام مشكلة لا في الصياغة ولا في الدلالة. ولولا أن الكاتبين في الإتياع أوردا الأمثلة أعلاه ضمن الإتياع، لما كتبناها، ولما توقفنا عندها.

الإتياع الإيقاعي

- أمثلة هذه الطائفة من الإتياع هي التي عليها المعول في هذه الدراسة، وهي محل عنايتنا، إذ هي التي يصدق عليها مصطلح "الإتياع" بالمعنى اللغوي للإتياع على نحو ما وضع من تقسيماتنا السابقة، ونورد على هذا الإتياع أمثلة موثقة بالصورة التالية:

* إتياع إيقاعي. بلا رابط بين التابع والتبوع.

- وَعَيْنُ لَهَا "حَدْرَةٌ بِدْرَةٌ" وَشَقَّتْ مَاقِيهَا مِنْ أُخْر. امرؤ القيس.
- إِنْ جَرِي "حُطَانِطٌ بِطَانِطٌ" كَأَثَرِ الظَّبْيِ بِجَنْبِ الْحَانِطِ. (أبو الطيب ص ١٨).
- قَلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : إِنْ مَوَالِي كَاتِبُونِي، وَشَرَطُوا عَلَيَّ أَنْ لَا أَخْرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا عَلَيْكَ الْأَرْضَ، حَيْصَ بَيْصَ، (الدولابي ١/١٣٧).
- وَتَفَرَّقَتْ سَفْنُ الْعَدُوِّ "شَذَرٌ مَذَرٌ"، وَكَسَبَتْ شَوَانِينَا سِتَ بَطْسَ لَهُمْ فَكَسَرَتْهَا، وَوَجَدَتْ فِيهَا عِدَّةً مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَاسْرَتْهَا، (الفتح القسي ص ٢٨٢).
- وَيَنْزِلُ فِيهِ النِّسَاءُ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْبَحْرِ "خِلْطٌ مِلْطٌ"، وَهُمْ فِي شَرْبٍ وَلَعِبٍ، وَرَقَصَ وَزَانِدٌ وَنَاقِصٌ، (تاريخ ابن الجاور ص ١١١).
- رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ قَالَ : قِيلَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ : أَتَعْرِفُ فَلَانًا؟ قَالَ : إِنَّهُ "الْأَفَيْسُ الْأَلَيْسُ" الْمُلْدُ الْمُلْحَسُ، إِنْ أُعْطِيَ انْتَهَزَ وَإِنْ سُئِلَ أَرَزَّ (أخبار النحويين البصريين ص ٣٧).

- وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ "الْخَازِ بَازٌ" : قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الْخَازُ بَازُ اسْمَانِ جُعِلَا اسْمًا وَاحِدًا وَبُنِيَ عَلَى الْكَسْرِ لَا يَتَغَيَّرَانِ فِي النِّصْبِ وَالرَّفْعِ وَالْجَرِّ. قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :-
تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السُّوَارِيُّ وَجُنُّ الْخَازُ بَازٌ بِهِ جُنُونَا
وَقَدْ جَوَزَ الْجَوْهَرِيُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ جُنِّ الذِّبَابِ إِذَا كَثُرَ صَوْتُهُ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ جُنِّ

النبات، واستعمله المتنبي كذلك في قوله :

ومن الناس من تجوز عليه شعراء كأنها الخاز باز
ويرى أنه البصير بهذا وهو في العمى ضائع العكاز

وقال الأصمعي : الخاز باز حكاية لصوت الذباب فسماء به، وقال ابن الأعرابي إنه نبت وأنشد لابن نصير :

وعيتها أكرم عود عودا الصل والصفصل واليعضيذا
والخاز باز بان السنم النجودا بحيث يدعو عامر مسعودا

وعامر ومسعود راعيان، قال : وهو في غير هذا داء يأخذ الإبل في خلوقها والناس، قال الراجز :

يا خاز باز أرسل اللهازما إني أخاف أن تكون لازما
وقيل : هو السنور حكاة أبو سعيد، (حياة الحيوان للدميري ١/١٨٩).

* إتباع إيقاعي برابط بين التابع والمتبوع

- هل غَيْرٌ هَمْزٍ وَلَمْزٍ للصديق ولا تَنكِ عَدُوَّكُمْ مِنْكُمْ أَظَافِيرُ، (ابن فارس ص ١١).
- وأبوك لم يك عارفا لَوَطَاتِهِ ما فَرَّقُ قَطَاتِهِ وَلَطَاتِهِ، (ابن فارس ص ٢٣).
- ومن الدعاء بطول الأسى قولهم : "لا حَيَاةَ الله ولا بَيَاةَ، ولا عَمْرَهُ ولا أَبْقَاهُ، (جواهر الالفاظ ص ٣٨٩).
- يقال : جمعت هذا المال من "خَسِيٍّ وَيَسِيٍّ"، (البصائر والذخائر ٤/٢٠٥).
- إني إذا ما عَجَزَ الوطواط، وكثُرَ الهَيَاطُ والمَيَاطُ لا يَتَشَكَّى مِنِّي السَّقَاطُ، (ابن فارس ص ١٥).
- وَقَلْتُ لَهُ "مَهْلًا وَمَهْلًا" فَلَمْ يُنِبْ لِقَوْلِي وَأَضْحَى الْغَشُّ مُحْتَمَلًا ضِفْنًا (ابن فارس ص ٢١).
- عن أبي الطويل شطب الممدود أنه قال : أتيت النبي فقلت : أ رأيت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يشرك بالله شيئا، ومع ذلك لم يترك "حَاجَةً ولا دَاجَةً" إلا اقتطعها

بيمينه، فهل لذلك من توبة؟ قال : هل أسلمت قلت : نعم. قال : ليفعل الخيرات ويترك الشرك، قلت : وعذراتي ومجراتي، قال : نعم، (الذولابي ٧٧/٨).

- قيل لعبد المطلب في المنام : قل : اللهم لا أحلها لمغتسل، وهي لشارب حِلٍّ وِيلٌ، (التنبيهات ص ٢٧٧).

- وهذه مسألة الغلام مع الأصمعي : قال غلام يُقَرُّ في كلامه وأتى أبا الأسود يلتمس ما عنده، فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك؟ قال : أخذته الحمى فطبخته طبخاً، وفضحته فضحاً، فتركته فرخاً، قال أبو الأسود : فما فعلت امرأته التي كانت تجارة وتشاره وتزاره؟ قال : طلقها، فتزوجت غيره، فرفضت وحظيت وبظيت، قال أبو الأسود : قد عرفنا رضىت وحظيت فما بظيت؟ قال : حرف من الغريب لم يبلغك، قال أبو الأسود : يا ابن أخي كل حرف من الغريب لم يبلغ عمك استره، كما تستر السنور خراها، (عيون الأخبار ١٦٤/٨)، وعلق السيرا في بعد أن سرد القصة على "بظيت" بقوله : وهذه الكلمة لا أصل لها في اللغة، وهي حرف لم يُدر في أي عش درج، ولا في أي بيض خرَج، ولكن يقال: حظيت المرأة عند زوجها وبظيت، وهذا إتياع (أخبار النحويين البصريين ص ٣٧).

العلاقات النحوية في مركب الإتياع الإيقاعي

إن العلاقات النحوية في مركب الإتياع الإيقاعي عادية جداً، ومنسجمة مع نظام اللغة الثقافية، فالرتبة محفوظة في كلا دالي الإتياع، كما هي محفوظة في مركبات غير جمالية مثل : الإضافة، الجار والمجرور، والتوابع جميعاً فلا تسمح اللغة هنا بالتقديم والتأخير، وتوالي الألفاظ على نمط محدد يعد أمراً إجبارياً. والتضام بين ركني الإتياع جائز فيه الفصل والوصل، كما هو جائز في مركبات لغوية عديدة مثل : مركب الاسناد، والنعت، والعطف، ولكن الفصل في مركب الإتياع له خصيصة الاقتصاد على أداة معينة وهي الواو ليس غير. ونذكر أن التضام من غير فصل هو الأكثر استخداماً. وتعرف طريقة التضام في الألسنية المعاصرة بالطريقة اللصقية، وهي وسيلة تتكاثر بها مفردات لغات مهمة في شرقي الكرة الأرضية مثل التركية والكورية، وهي أيضاً وسيلة تبني بها العربية

مركبات غير جميلة مثل : (قالى قلى)، و(أيدي سبأ)، و(حَلَوَ حامض)، و(أحدَ عَشَرَ)، و(صباحَ مساءً)^(٩).

أما العلاقات اللغوية غير النحوية - الخاصة بالصياغة التأصيلية - فظاهرة في مركب الإقباع مَلْفَتَةٌ للنظر ومثيرة لجدلوية ستظل تجتذب اهتمام اللغويين، إذ الدال الثاني من الإقباع الإيقاعي مفرغ من أية دلالة معجمية. ولا يصدق عليه مفهوم عبارة لغوية طالما هو لا يحمل بحد ذاته إضافة ما إلى مضمون أو معنى معين. وعلى حين توجد صورة مُدْرَكَةٌ للدال الأول من الإقباع فإنه لا توجد هناك صورة مدركة في الدال الثاني، فهناك رمز صوتي، وهناك رسم إملائي، ولكن ليست هناك صورة ذهنية، فما معنى؟ بل أية صورة للمفردات (بَسَنَ ولَيْطَان وأصاة)؟ في المركبات : (حَسَنَ بَسَنَ)، و(شيطان ليطان)، و(حصاة أصاة) ما اشتقاق هذه الألفاظ؟ وما تأصيلها؟ وهل هي وأمثالها من الغريب الذي لم يبلغ حتى أهل الصنعة من اللغويين على حدِّ المناكفة السابقة بين الغلام والأصمعي؟ قد كانت مداخلات القدماء حول هذه الجدليات واهية وهامشية، ونحن نتقدم في حلها بطرح جديد.

تأصيل التابع في مركب الإقباع

- ليس ثمة جدال بأن الدال الأول من مركب الإقباع هو نقطة الارتكاز في هذا المركب، وأن الدال الثاني مجرد نظير حائم في فلك الأول، وبه يتأثر في الميزان والروي، وعلى نسقه تنبني صورته الصرفية، وبآلية سهلة وعفوية. فتؤخذ عبارة لغوية ما، ثم تكرر في رتبة تسمح بتغيير الصامت الأول منها إلى حرف من الحروف المتوسطة - أو المائعة^(١٠)، فيكون الناتج مركباً إقباعياً هكذا في : (عَطُشَانُ نَطُشَانُ)، (هَرَجَ مَرَجَ)، (حابلٌ، نابلٌ) فالفرق بين كل دالين يكمن في حرف بعينه، وذلك هو الذي يتصدر الدال الثاني مما يؤدي إلى ولادة مبنى جديد مساو للؤل في النغم، ومختلف في الوقت نفسه عن أن يكون تكراراً لفظياً له كأنواع التكرار اللفظي المعتادة في اللغة الفصحى. والقيمة الدلالية في كلا دالي الإقباع تكمن في الصورة الصوتية المسموعة من كليهما، بل إن رقي الدال الثاني إلى مستوى عبارة لغوية مفيدة هي مسألة مصادفة محضة. وسترد

ملحوظات أخرى حول هذه النقطة عند بيان الطاقة التعبيرية لمركب الإتياع، ويمكن أن نعروض ولادة مركب الإتياع بالنموذج التالي :

مرحلة أولى، فكرة + إدراك + عبارة لفوية = خرابيش
مرحلة ثانية، فكرة + عفوية + عبارة سمعية = برايش

هروف الإتياع

ملحوظة لا تخطئها الأذن ولا تتعدها العين، وهي أن الصامت الأول من الدال الثاني من مركب الإتياع يكون عادة من مجموعة الأصوات المائعة، وهي أصوات مجهورة في العربية وفي اللغات الأخرى الثقافية الكبرى، مثل الألمانية والإنجليزية، وتلك ميزة تعطي التابع - حين يبتديء بها - وضوحاً سمعياً خاصاً، فمخرج الصوت المجهور يسمح بمرور الهواء في جهاز نطق الإنسان مع دوي حاد، بسبب من ذبذبات الأوتار الصوتية التي لا تكون محكمة الإغلاق.

وقد أمكن لنا حصر أصوات معينة تتكاثر بها الأمثلة الإتياعية وهي: الميم والباء واللام والنون والهمزة والواو والياء^(١).

صوت الميم : وهو صوت مرقق مجهور شفوي خيشومي، ينفث معه عنق الحلق ومجرى الأنف مما يولد عفوية مسموعة، وهذا الصوت يساهم في تكوين نسبة تقارب ثلث أمثلة الإتياع التراثي. مثلما سيظهر من الجداول الملحقة. ويكاد صوت الميم يكون وحده هو المستخدم في توليد إتياعات تكثير التعداد في النوات من الأشياء في اللغة العامية، كما هو في: (خَزَانَة وَمَزَانَة)، (فرشة ومَرَشَة)، (طاولة ومَاوَلَة)، (فستان ومِستان)، (فلم جرا، حيث التابع الثاني لا يعدو وظيفة القيام باظهار التلاعب الخادع بما يوهم كثرة تخيلية لا واقعية.

وصوت الميم يولد نسبة تقارب النصف من إتياعات لغة العوام في الأردن. وما

سمعناه مشافهة قولهم : (قَحَطُ مَحَطُ)، (حَيَّا الله مَيَّا الله)، (كانى مانى)، (لا حاشا ولا ماشا)، (زلط ملط)، (هاق ماق)، (زيق ميق)، (سري مري)، (بين حانا ومانا).

صوت الباء : صوت شفوي مرقق مجهور شديد يتحقق بانطباق الشفة السفلى مع العليا انطباقاً تاماً، وبه يغلق شراع الحنك الرخو مجرى الأنف فلا تحدث الغنة، وكان القراء تعجبهم صفة الجهر والشدة في الباء، ويرون في ذلك وضوحاً سمعياً، ينفعهم في حاجة الترتيل والتجويد لنصوص القرآن، وحرصاً على إبقاء خاصية الجهر أوجبوا في الباء القلقة إن وقعت ساكنة، مخافة ضياع الجهر من الباء وتحولها إلى حالة الهمس كما هو في نطق كلمة "عُجَاب" في حالة الوقف، إذ لولا الجهر يمكن أن تسمع "P"

والباء توظف تقريباً في توليد خمس أمثلة الاتباع التراثي على نحو ما يظهر من الجداول اللاحقة، وفي العامية: ترد الباء آلية مساوية للميم تماماً. وهما معاً الأداتان نواتا الأثر الفعال في توليد إتبعات عاميتنا في الأردن، ومما سمعناه بهذه الآلية.

– (سَكْتُمْ بَكْتُمْ)، (صَلَدُمْ بَلْدَمْ)، (شِيلَه بِيلَه)، (حَدَرَه بَدَرَه)، (لَقَأَقْ بَقَأَقْ)، (خَوْش بَوْش) (خِيْطِي مِيْطِي).

صوت اللام : صوت مجهور مرقق في الغالب له مخرج باعتماد أسلة اللسان على لثة الأسنان العليا، ويمر تيار الصوت المجهور في المجرى الجانبي من تجويف الفم مما يعطي الصوت وضوحاً أزيد. وكان الأصواتيون العرب قد صنفوا اللام فمن مجموعة الأصوات اللينة وهي : (اللام والنون والراء والميم والواو والياء) وجمعت في عبارة لغوية مصنوعة "يرملون" واهتمام علماء التجويد بالعبارة ملحوظ. وفي الألسنية المعاصرة تحظى هذه المجموعة من الأصوات بعناية خاصة، حيث تؤكد الأبحاث اللغوية أنه قلما تخلو كلمة عادية من أحدها سواء في العربية أو في غيرها من اللغات الانسانية، وهي أصوات توظف في تكبير المفردات لاسيما أبنية الرباعي، وفي تصغير المفردات لاسيما أبنية الأسماء الثنائية الصوامت، وهي كذلك الأصوات التي تصنع الأمثلة الاتباعية.

وتشغل اللام كذلك نسبة خمس الأمثلة التراثية تقريباً، فأما في عامية الناس فهي

ذات وجود، ولكنه قليل نحو : (خَبَائِصُ لِبَائِصٍ) (حَائِصٌ لَائِصٌ)، (خَبْطَةُ لَبْطَةٍ)، (لا كُحَاج ولا لِمَاج).

صوت النون ، ينطق مرققاً مجهوراً مع الغنة الخيشومية، وهو صوت شديد الحساسية والتأثر بنوعية الأصوات المجاورة له، وينتقل بمخرجه غالباً إلى مخرج الصوت التالي له في حالات معروفة عند القراء، وللنون عذوبة في السماع إذا ما كُرِّرت أو أُطيلت مدة اعتماد تيار الصوت في مخرجها، والقرآن الكريم يَحْفَلُ بالنون كثيراً، ولعله أكثر الأصوات لزوماً عند الفواصل القرآنية^(١٢)، وأمثلة الإتيان المتولدة بصوت النون غير قليلة، وله بضعة أمثلة في عامية الناس في بلادنا، من ذلك : (شَطَّاط نَطَّاط)، (مَشْ نَشْ)، (حَشَفَةٌ نَشَفَةٌ).

صوت الهمزة ، الهمزة العربية وقفة حنجرية تنطق عند إغلاق الأوتار الصوتية إغلاقاً تاماً، مما لا يسمح بحدوث الاهتزاز اللازم لصفة الجهر، ولكن يسمح بالنبر اللازم لصفة الانفجار، نتيجة الفك بعد الإغلاق في نطق الهمزة، وهذا الصوت يُحْشَرُ مع أصوات الإتيان رغم مخالفته في صفة الجهر، ونظن ذلك بتأثير المجانسة الصوتية التي تستدعيها حروف الحلق، وهي حروف تُسْتَحَبُّ حركة الفتحة معها، والهمزة قريبة في السماع من نطق الفتحة، وقد لاحظنا ورود صوت الهمزة - في التراث الإتياني - يرد مع مفردات أولها حروف حلق من ذلك :

(عَيَّمان أَيْمان)، (عَيْص أَيْص)، (حائَة أَيْة) وهذا يؤكد أن الهمزة جاءت بتأثير العين والحاء.

صوتا الواو والياء ، هما من أهم الأصوات "المتوسطة" وكلاهما مجهور لكنهما يختلفان في المخرج، فالواو طبقية والياء غارية، ويكثر ظهورهما أن يكونا نقطة إغلاق في نهاية مقطع، أو معبراً لصوت تالٍ لهما، مما يولد ما يُعرف بالمزدوج الواوي أو اليائي (ya-ay+wa-aw) وهذا المزدوج له وظيفة الصامت تماماً، وبه تتولد الأمثلة الإتيانية ولم نلاحظ على هذين الصوتين أمثلة في لغة العامة .

مباني الاتباع الإيقاعي

أسلفنا القول بأن الصيغ الصرفية المتنامية - المتصرفة - من الصفات والأسماء والأفعال هي وحدها التي تقدم أمثلة إتباعية، والصفات هي الأكثر استخداماً، وتليها الأسماء، فأما الأفعال فقليلة جداً، ومعنى ذلك أن العربية تعرف ثلاثة مباني إتباعية هي :

أ- صفة + صفة ب- اسم + اسم ج- فعل + فعل

ودلت الملاحظة أن أوزاناً محددة هي التي يختارها الناطق اللغوي العربي عند إرادته إشباع حاجته من الإتياعات كما يُظهر ذلك الجدول التالي :-

المباني										
نوع الإتياع	فاعل	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	المجموع
وصفي	١٨	١٧	١٦	٦	٤	٢٠	٧	-	٤	٨٢
اسمي	-	-	-	-	-	١١	٥	١١	٤	٢١
فعلي	-	-	-	-	-	-	-	-	-	٩

ولنا على الجدول أعلاه ملاحظتان : الأولى حول دلالة الإتياع، والثانية حول مبناه، فقد وردت مفردات التمثيل على المباني السابقة - في كتب التراث الإتياعي - متضمنة فكرة الدلالة على الأحداث لا النوات، وتوزعت الدلالة على معني الوصفية في ثلثي المفردات تقريباً، وعلى معني المصدرية في ثلثها، وثمة بضعة أمثلة تقبلت معني الفعلية، وهذا الملحوظة ذات قيمة في فهم الطاقة التعبيرية التي لأجلها يساق مركب الإتياع كما سيرد لاحقاً.

وقد جاءت مباني التمثيل - عدا واحدة - من تلك التي تخضع في اشتقاقها إلى آلية التحويل الداخلي^(١٣) حيث تنشط الحركات القصيرة أو الطويلة لبناء الألفاظ من الجذور من غير استعانة بسوابق أو لواحق تزداد قبل أو بعد أو وسط تلك الجذور، والحركات التي انتظمتم بها أمثلة الإتياع كانت ثلاثية، وهي عدمية "السكون" وقصيرة وطويلة، ويمكن

ببساطة رؤية التحويل الداخلي في السلم التالي :

فَعْلَ بمقطع واحد يتحول الى (فَعِلَ) بمقطعين في كل منهما حركة قصيرة ويتحول إلى فَعِيلَ بمقطعين. بحركة قصيرة في الأول وطويلة في الثاني هكذا : (فَعْلَ — فَعِلَ — فَعِيلَ). ومثله أيضاً : (فَعْلَ — فَعَالٌ — فَاعِلٌ) فواضح أن الكلمة الواحدة بتغيير في كمية وموقع الحركات، يمكن أن تنتقل إلى كلمة أخرى، مختلفة في الوزن متفقة في المعنى من ذلك :

* (سَمِجَ لِمَج - سَمِجَ لِمَج - سَمَاجَةً لِمَاجَة - سَامِجَ لَامِج) وجميع هذا يرد في وصف الشره الأكل، (ابن فارس ص ٥)، (أبو الطيب ص ٧٦).

* (حَقَرُ نَقَر - حَقَرِ نَقَر - حَقِيرِ نَقِير - حَقَّارَةٌ نَقَّارَةٌ) وصف لِظَلَعٍ يُصِيبُ الْغَنَمَ، ثم صار يطلق علي كل شيء تافه، وقد ورد هذا الوصف في قصة السنور والأرنب التالية : زعموا أن الوَبْرَةَ -الورد- والأرنب استَبْتَيَا، فقالت الوبرة للأرنب: أذنان وصدر وسائرَكَ حَقَرُ نَقَر، فقالت الأرنب للوبرة: عجز وأذنان وسائرَكَ أَصْلَتَانِ ، أي منجرد من اللحم والشعر، وهذا من أكاذيب العرب (المخصص ٢٢/١٤)، (إتباع أبي الطيب ص ٩٧).

الحركة الاعرابية في مركب الإلتباع

تقتضي الصحة اللغوية في العربية الفصحى أن تتزود كل مفردات هذا المستوى وطنية وأجنبية بحركات إعرابية معلومة، وذات موقعية ثابتة لا تبدل فيها وإتقان تلك الحركات ووضعها في أماكنها قد كان ولا يزال من مظاهر الفصاحة العالية، فالأمثلة الاتباعية التي تهجر موقعها الأساسي في اللغة الحوارية العامية، وتدخل في مستويات لغة الثقافة، عليها بالضرورة أن تهجر عدمية الحركة المميزة للنطق العامي، وأن تَجْتَلِبَ لنفسها حركة مناسبة ومنسجمة مع قواعد الفصحى. وفي هذا المقام يلحظ أن الدال الأول من مركب الإلتباع هو الذي يلعب الدور الفعال في تَقَبُّلِ الحركات الاعرابية، أما نظيره الآخر فهو سلبي الإرادة ويتقبل فقط الحركة ذاتها في الدال الأول على نحو ما هو في المثال الآتي من نادرة أبي زيد، (مجالس ثعلب ١/١٩٨).

تَجَانَفَ رَضْوَانٌ عَنْ ضَيْفِهِ أَلَمْ يَأْتِ رَضْوَانٌ عَنِي النَّذْرُ
سَلِيخٌ مَلِيخٌ كَلَحَمِ الْحَوَارِ فَلَا أَنْتَ حَلُولٌ وَلَا أَنْتَ مَرُّ

فكلا الدالين : (سليخ مليخ) لهما حركة إعرابية واحدة وهي (الضمة)، ولا ينبغي أن يُفهم التشابه في حركة الدالين على نسق التشابه في باب النعت والمنعوت بل على نسق التشابه في مركب العدد من (أحد عشر إلى تسعة عشر). مع ملاحظة أن حركة مركب العدد لازمة الثبوت في جميع السياقات، وحركة الاتباع تتنوع وفقاً لتنوع السياقات، وتقريباً فإن حركة الاعراب هي المطردة في إتباع التراث سوى أمثلة أربعة نصُ القدماء على لزومها حركة البناء، ويبدو أنها أمثلة كانت شائعة جداً من فترة مبكرة، فانشغل اللغويون بتقعيدها بعينها، وقدموا في ذلك معالجات لا جرم إن أثر الصنعة ظاهر بها والأمثلة هي : (حَوْتُ بُوْتُ) (حِصَصٌ بَيْصٌ)، (شَذَرٌ مَذَرٌ)، (والخاز باز).

وعلى الرغم من أن كتب التراث تقدم الأمثلة في نماذج لغوية غير عملية كأن يقال : ركب القوم "حَوْتُ بُوْتُ" إذا لم يُدرَ أين هُم، على رغم ذلك يذكرون أن المركب يجوز فيه ثمانى لغات ^(١٩) هي : (حَوْتُ بُوْتُ، حَيْثُ بَيْتٌ، حَاثٌ بَاثٌ، حَوْتُ بُوْتُ) حَيْثُ بَيْتٌ، حَاثٌ بَاثٌ، حَيْثُ بَيْتٌ، حَوْتُ بُوْتُ). والوجوه هذه تصدق على "حِصَصٌ بَيْصٌ" ذاك المثال الذي لا يزال يسمع بشغف من ألسنة العامة، وكان قد ارتفع إلى مستوى الفصحى من خلال بيت من الشعر غريب :

قد كنت خُراباً ولُوجاً صَيِّرفاً لم تَلْتَحِصْنِي حِصَصٌ بَيْصٌ لَحَاصٍ.

٤- مساهمة الإِتباع في تكثير الثروة المعجمية العربية

لا يكون المرء مغاليا حين يصف الجهود اللغوية التاريخية في مسألة الإِتباع بأنها معجمية الطابع تهتم بالمثال وبتفسيره، وكان القدماء قد عدوا الإِتباع أساساً ضرباً من الغريب والنادر - ولا مشاحة في ذلك - وكانت مسألة الغريب تستهوي الناشطين من أهل الصنعة اللغوية آنذاك، فكانوا يَخِفُّونَ إليها سراعاً، ويرون فيها ميداناً لظهور البراعة وعلو الهمة مثلما ظهر في مسألة : "بَطِيتٌ" ومسألة "الخاز باز". ولكنه قد يقال : أنه طالما

نُونٌ بالعربية فهو من ركاز العربية، ونحن لاحظنا أن مسألة الاتباع قد زادت الثروة المعجمية من خلال المسارب الآتية :

أ- توليد التابع.

ب- تفسير التابع.

ج- معجمة التابع.

د- التصحيف.

* أما مسألة "التوليد" في التوابع فقد وضح أثرها في زيادة الثروة المعجمية من خلال الفصل الخاص بحروف الاتباع وما بعده.

* **تفسير التابع** ، لعب تفسير التابع في زيادة، ألفاظ المعجمة العربية حين حاول قدامى اللغويين أن يقموا على دال اجتماعي للفظ التابع. وقد كانوا في مسلكهم هذا أسارى لفكرة التوأمة بين المبنى اللغوي والمعنى المعجمي، ففوة اللفظ عندهم مؤذنة بقوة المعنى، والألفاظ قوارب المعاني لاتزيد ولا تنقص، وفي هذا إغفال لجانب مهم من وظيفة اللغة، لأنها لا تختص فقط بالتواصل الاجتماعي العادي، وإنما لها نشاطات أخرى نفسية ونغمية، ونرى أن الأئمة الأعلام القدامى ما جادلوا أساساً في الألفاظ المرتجلة أهي صناعية أم طبيعية؟ وسلموا بأن غريب اللغة كمألفها كلاهما ينبغي أن يكون من ولادة طبيعية. وعلى اللغوي أن يجهد فكرة كي يقف على أسرار اللغة هنا، فإذا لم تسعف الخبرة والممارسة الطويلة في إيجاد تفسير لغوي مقنع، فعلى اللغوي أن يتهم حصاته، فما بلغه من العلم قليل، وما المثال الذي يتعرض له بغريب، ولكنه وأمثاله من اللغويين في صنعتهم هم الغريباء. والمسألة أيسر من هذا بكثير، لأنه لابد من التسليم بأن بعضاً من مفردات اللغة قد بني لأغراض خاصة، وارتجلت له الألفاظ ارتجالاً، وربما صنعت الألفاظ صنعة.

وكتب التراث الأدبي تحتفظ بشخوص من البدو مشاهير في صناعة الألفاظ أمثال -
أبي خيرة، وأبي العديس وأبي فففس، وأبي القعقاع، وأبي الدقيش، وأبي الجراح، وأبي
علقمة، وأم الهيثم - وغيرهم. ونورد هنا المناكفة، بين أبي علقمة النحوي وأعين الطبيب :

دخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال له : إني أكلتُ من لحوم هذه الجوازل فَطَسِيتُ طَسَاءً، فأصابني وجع ما بين الوايلة إلى داية العنق، فهل عندك من دواء؟ فقال أعين : نعم خذ خَرِبَقًا، وشِلْفَقًا وشَبْرَقًا، فأهرقه بماء رَوثٍ واشربه، فقال أبو علقمة : لم أفهم عنك، فقال أعين : أفهمتك كما أفهمتني، (عيون ١٦٣/٢). فالارتجال والصنعة في المثال لا يخفي أثرهما على كل عين بصيرة، ومع ذلك صارت هذه الألفاظ المرتجلة هي وتفسيراتها من الثروة المعجمية.

ونتأمل الأمثلة الآتية : قال اللغويون : معنى (بَيَّاك) : اعتمدك بالتحية ومنه قول

الراجز

لَمَّا تَبَيَّنَا أَخَا تَمِيمٍ أَعْطَى عَطَاءَ الْحَزَنِ الثَّيْمِ

وقال الراجز :

بَيَّا لَهُمْ إِذَا نَزَلُوا الطَّعَامَا الْكَبْدَ وَالْمَلْحَاءَ وَالسَّنَامَا
بَاتَتْ تَبَيَّا حَوْضُهَا عَكُوفَا مِثْلَ الصَّفُوفِ لَاقَتْ الصَّفُوفَا

إني قرأت تفسير "بَيَّا" في كتب التراث الاتباعي، وقرأت الرجز، ولكن نفسي لا تشتهي هذا التفسير، ولا هذا الشعر الرجزى أبداً، وما لفظ (بَيَّاك) عندي إلا سجة نغمية مكررة للفظ "حياك" فبدلاً من قول "حياك الله جداً أو كثيراً" اتكأ ابن اللغة على آلية الاتباع الموجودة في عاميتهم آنذاك وفي عاميتنا وعامية غيرنا، فوُلد بحرف الباء لفظة (بياك) الاتباعي وليس العكس؛ فالإيقاع الاتباعي ولد لفظة (بياك)، وحاجة التفسير ولدت مشتقاتها الفعلية الواردة في الرجز. وجميع هذه الألفاظ لا شك دخلت في ثروتنا المعجمية، وصارت من مخزونها الثقافي. واللفظة «بياك» معان أخرى غير معنى "اعتمدك" فنجد القدمات يوردون المعاني التالية "بيا" : بمعنى قَصْدٌ، وبمعنى قُرْبٌ، وبمعنى عَرَفٌ، وقال الفراء بمعنى أنزلك منزلاً في الجنة، وقال خلف الأحمر : لما جاءت مع حياك تَرَكْتُ "بياك" همزتها وحولت واوها ياءً وهي في معنى هياك وبوأك.

- المثال الاتباعي "هوله حلّ ويل"، (المزهر ٢/٤١٥)، قالوا معنى "بلّ" المباح بلغة حمير، ويقال "بَلّ" بمعنى الشفاء من المرض من قوله "بَلّ الرجل من مرضه".

إنه مثال يتكرر في عاميتنا كثيراً ليدل على معنى مباح جداً، يقال : "حَلَل بَلَل" وربما زادت تقوية اتباعية ثالثة "زَلال" ولا دخل للغة حمير، لا من قريب ولا من بعيد بالظاهرة، بل ليست اللفظة من معجم الحميرية الموروث، ولا هي جارية اليوم على السنة اللهجات المتناصلة من الحميرية القديمة كالشُحرية والجبالية.

- وهذه طائفة أخرى من الإتباعات، رأي اللغويون القدماء فيها ثنائية في المعنى قالوا : لا يعرف (القَطاة من اللُّطاة)، وهما : الردف والجبهة وماله (عَافِطَة ولا نَافِطَة) وهما : الشاة والعنز وماله (سَعْنَة ولا مَعْنَة) وهما : الودك والخبز وماله (سَبَد ولا بَد) وهما : الشعر والصوف، وماله (حائَة ولا أُنَة) وهما : الشاة والناقة، وأقبل (الحاجّ والداج) وهما : الحاج والتاجر، وما عندي (شَوْب ولا رَوْب) وهما : السمن والعسل، وفلان (سَقْل ولا غَل) وهما : ضعف القوام وسوء الغذاء.

إنه لا يصعب على أحد أن يُقرّر بداهة، أن هذا النوع من العلم بالأخبار، والتقدير للأشكال، ليس موجوداً إلا في عقول الخاصة من أولئك اللغويين الذين قالوا بهذه الأخبار، فاما ابن اللغة الذي ولّد هذه الأمثلة الاتباعية بألية حروف الاتباع، فإنه يقينا لم يُرد بالتابع الثاني من هذه التراكيب أكثر من مجرد تَمّة صوتية، ولكن الثمرة تنعكس على أية حال على المعجم فتكثر ثروته.

* **معجمة التابع**، ونريد بذلك فكرة ترتيب المواد في المعجم، وقد لعبت هذه الفكرة دورها في تكثير الثروة المعجمية، حيث ضرورة الترتيب على حروف الهجاء استدعت أحياناً توليد قوائم اتباعية مصنوعة كي تملأ فراغات جميع الحروف الهجائية. ظهر ذلك في مذكرتين، أولى من صنيع أبي الطيب اللغوي، ونعتقد أنه أول من خص الظاهرة بمذكرة يراعي فيها أن تتوالى الإتباعات وفق الترتيب الهجائي علي حسب الصامت الأول من الجذر. وظهرت المذكرة الثانية في الشطر الفارسي من الدولة الإسلامية في ولاية آل

بويه في بلاد فارس على يد ابن فارس الرازي، وقد رُتّب مذكرته على الحروف الهجائية ولكن مع مراعاة الصامت الأخير من الجذر، وليس ثمة اتصال بين العاملين، فالأول يسوق أمثله الانتبائية على جميع الحروف عدا أربعة أحرف، قال : إنه لا توجد منها إتباعات وهي (الصاد والضاد والطاء والظاء)، ولكن الفارسي أورد على تلك الحروف إتباعات. وضرورة ملء الفراغات من الحروف : (التاء والتاء والقاف والكاف والعين) هي التي تفسر ورود الأمثلة غير العملية التالية : (ضَالّ - تَالّ)، (لا بَارَك ولا تَارَكْ)، (خَيْن - يُبِن)، (حَسَن - قَسَن)، (عَنْظ - كَنْظ)، (واحد - فاحد)، (ثُلّ - غل)، وكل هذا يثري المعجم.

* **التصنيف** : مسألة التصحيف غير مُستَبَدّة سواء وقعت من القدماء أنفسهم أو من المتأخرين الذين حققوا تراثهم، وبعض أشكالها قد يكون بسبب الكتابة وعدم تبين أشكال النقط والحروف كما في الأمثلة : (خَازِن، مَازِن، جَارِن، مَازِن) و (مَحِيص، مَقِيص، مَقِيص) و (خَالِد، تَالِد، بَالِد) و (مَانِق، دَانِق، رَانِق)، (ابن فارس ص ٨)، (أبو الطب اللغوي ص ٢٣)، (القالبي ٢/٢١٥).

وهناك تصحيف أصواتي يمكن وقوعه جداً بسبب قرب المخارج والتشابه في الصفات بين الحروف مثل : (شَكِسْ، نَكِسْ، لَكِسْ) و (خَاسِرْ، دَامِرْ، دَابِرْ)، و (بَطْ، قَطْ، بَذْ) و (خَبْ، طِبْ، ظِبْ، ضِبْ) و (حَارْ، جَارْ، يَارْ)، (القالبي ٢/٢١٣). ونري أن الإتياع في (حَار، جَار، يَار) له صلة بنطق الجيم قديماً، إذ يؤكد علماء الساميات أن تطوراً قد جرى على نطق الجيم في العربية قبل مرحلة نزول القرآن، فانتقلت بمخرجها إلى الأمام ومالت إلي التعطيش قليلاً كما هي عليه في نطق مجيدي قراءة القرآن، ونطقها بلا تعطيش ما زالت له رواسب في الساميات الأخرى، عند أهل اليمن وعند القاهريين في مصر، وكتابة ذاك الصوت العتيق لا تعرف له العربية صورة إملائية، فعربيتنا تعرف رسومات إملائية لل fonemes (Phonemes) وليس للألفونونات (Allophonemes)، ولذا قد يكتب الألفون (g) ^(١٩) في صورة الجيم أو الياء، وهي مشكلة لا نزال نعاني منها عند إرادة مطابقة الإملاء مع المنطوق في الألفاظ الدخيلة، والمثال السابق نظنه من العامية من إتياع المزوجة لا إتياع الإيقاع أي من التحرر والاقرار وفي لعب أطفالنا تجري القرعة ثلاثية، وتكون الثالثة

هي "الحارة القارة" - على نطقنا في الأردن - وتكون همزة وياء على نطق أهل المدن أو الخليج وبذا نرى أن التصحيف يزيد من الثروة المعجمية.

٥- الإلتباع ظاهرة إنسانية

تؤكد اللغويات التاريخية المقارنة علي أن هناك عناصر لغوية مشتركة بين لغات البشر، منها ما يتصل بالأصوات، ومنها ما يتصل بالكلمات، ومنها ما يتصل بالتركييب ويندرج تحت هذا المستوى الأخير ذاك الميل العام إلى تكرير الكلمات، أو مقاطع منها، وهو ما يعرف في الفكر اللغوي العالمي بظاهرة الإلتباع (Reduplication) ولهذه الظاهرة : نماذج تتخذ آلية واحدة في اللغات المختلفة، ونماذج تتخذ هندسة فنية بآليات متنوعة أو ما يمكن الاصطلاح عليه :

أ- إلتباع بسيط ب- إلتباع فني

* الإلتباع البسيط ، وفيه تكرار يقوم علي إعادة منطوق صوتي بعينه وحجمه مرة ثانية، فتكبر العبارة لغوياً وتقوى أصواتها سمعياً، وهي أمثلة لها دور في التواصل الاجتماعي على أنه محصور وقليل، على نحو ما أسلفنا في صفحات سابقة ؛ ولها عمر زمني قصير، ونسبياً تكاد تكون منعدمة في لغة المثقفين والرسميين، وحياتها ملحوظة في لغة الأطفال فان كبروا هجروها، من ذلك :

- صيغ ألفاظ الصوت والحركة : مثل (عَوَعُوْ) للكلب، و (كُوكُوْ) للديك، (دَنْ دَنْ)

للجرس و (تك تك) للساعة، و (طاخ طاخ) للرصاص، و (تشك تشك) للقطار.

- صيغ المزاح والتفكك مثل : ((لولو))، (فيفي)، (سوسو)، (ميمي)، وأضرابها من التكرارات التخيلية في ألفاظ الألقاب.

وتعرف اللغات الأخرى هذه الآلية تماماً في معجم لغات أطفالها من ذلك :-

في الألمانية : قولهم عن القروش Pinke-pinke، وعن الديك : Kuck-kuck، وعن الكلب

vaw-vaw، وعن السيارة Puffc-puffc، وعن الملبس Bon Bon.

* **الابقاع الفنى** : ومنه في العربية نمطان حسب تقسيمنا السابق هما : (المزاج والابقاعي)، ووجودهما خاص بالعاميات، وليس باللغة الثقافية، إذ لم تسجل كتب التراث الابقاعي سوى سبعة شواهد موثقة في نصوص عملية أدبية. وكانت منسوبة إلى امرئ القيس، وذي الرمة، وأبي جهيمة الهذلي، والرقبان الاسدي، والكميت، وابن ميادة. وهناك ثلاثة شواهد رجزية بلا نسب، وثمة ثلاثة نماذج لشواهد من الأمثال، وجميع هذا قد ذكر في عرض البحث. ولم نعثر علي شواهد للابقاع في القرآن الكريم أو الحديث الشريف.

على أن هذا الابقاع عتب في اللغات الأخرى -في الانجليزية والألمانية- إلى مستوى اللغة الثقافية ومنه أن يقال : اللَّخْبَطَةُ (hokus-pokus)، والْفَوْضِي (techtel-mechtel)، والدُّمْدَمَةُ (rumble-bumble) والشُّرَاب (schorle-morle) والهِذْيَان (heck-meck) والحركة (hurly-burly) والهُرَاء (lari-fari) والمحكواتي (walke-talke)، والنشيط (wheeler-deeler)، واللطيف (hande-dandi)، ومزاح مع "كارل" (charlie-warlie)، ومزاح مع "رودي" (doddy-rodgy). ومنه في الماليزية في التعبير عن معنى أشياء مُلَخَّبَتَة (cerai-berai)، وعن معنى المماحكة (teka-teki)، وعن معنى التسلية بالماء (mandi-manda)، ومنه في التركية في الدلالة على جيئة وذهابا (aramis-tramis) وفي الدلالة على المتفرقات من الملابس الشخصية (yatak-matak)، وفي الدلالة على المتفرقات من الأثاث (Sandalia-mandalia).

وفي اللغة العبرية (toho wa boho)، أي (تيها وبِها) بمعنى "خربة وخالية". وهناك مثالان آخران وردا في العهد القديم دالين على كُنيَة تفخيم لشخص أعلام. وانتقلا إلى العربية من خلال القرآن الكريم وهما (يأجوج ومأجوج)، و(هاروت وماروت). وتذكر كتب التفسير العربية عن يأجوج وماأجوج أنهما قبيلتان أو قبائل من خلق الله، وتورد في صفتهم وأخبارهم وعددهم معلومات ضافية، مستوحاة من الموروث العبري أو الموروث السرياني. ونحسب أن الصيغة العربية أقرب إلى الصيغة السريانية منها إلى العبرية حيث ترد هناك على وزن (gog magog) ولها علاقة بقصة البطولة التي أخذها الاسكندر المقدوني في فتوحاته الكبيرة في بلاد الشرق.

وفي سورة البقرة فيما بيّنه القرآن من افتراء أهل الأهواء من اليهود وغير اليهود على سليمان من أمر "السحر" ترد قصة "هاروت وماروت". وحسب التفسير العربية فهما رجلان شبها لانفرادهما بصفات محمودة في السحر، إما بالملئكة، وإما بالملك. والقصة فوق هذا لها بعد تاريخي موغل في القدم، بحيث ينبغي أن تقارن بتلك الواردة عند الهنود في كتابهم المقدس "القيستا" (haurvatat-amercetat) وبذلك التي تذكر في الفارسية المتأخرة (hurdad-murdad) وبذلك في اليونانية (Orioch-marioch)، ويرجع أن الصيغة العربية جاءت محاكية للسريانية؛ ففيها يشيع بكثرة ذكر ربة السحر البالبية "ماروت" (mrota).

وأخيراً نذكر من هذه الإتياعات مسمى القيل اليمني (علهان نهفان) والد الملك السبني المشهور (شعراوتر) ملك سبأ وريدان، وهو الملك الذي حارب الحبشان وغلّبهم مراراً^(١٧).

٦- طاقة التعبير في مركبات الاتباع

المحنا فيما سبق إلى أن المساحة التي تشغلها أمثلة الاتباع محصورة جداً في النصوص العالية، وكل الأمثلة المستنخلة فيما رويناه وسمعناه تؤكد بأريحية أن الاتباع من نسيج لغة العوام. فهناك استحباب ملحوظ لهذه العملية الكلامية، حيث تعيش أمة الثقافة، وحيث يحيا أدب الأذن لا أدب العين، وحيث الكلام يجري بلغة تسكن الناس سليقة لا بالتعلم. وإذا كان الفكر الفصيح قد أنضج علوم البديع والبيان كوسائل تطريزية تخدم العملية الكلامية التي تجري على ألسنة أعيان الناس ومثقفهم؛ فإن الفكر العامي بدوره له وسائله التطريزية الخاصة به، والاتباع بعض تلك الوسائل، إذ ألفاظ الاتباع مفعمة بالحيوية، ولها على ألسنة العوام حلاوة، وفي أذهانهم طلاوة، وهم يجتلبونها بعفوية وبدون انتباه، لتقوم بوظيفة المشافهة في الحياة اليومية عن المعاني التي تخدم (لغة الطفل) في غرفة ألعابه، ودولاب ملابسه، وثرثرات لسانه (ولغة الكبار) عند قصدهم التسلية والتفكّه، أو عند قصدهم إبراز مشاعر الحيرة والانفعال والتلطيف والتدليل، أو عند قصدهم التعبير عن معان لها طابع السرعة وعدم انتظام الحركة، وهلم جرا من المعاني العامة، وثمة مسرد أسفله يسجل أمثلة الاتباع الواردة في كتب التراث العربي وتصفحها يوضح المعاني التي تساق من أجلها.

أ- جدول اتباع المزاوجة

أبنية صفات + أسماء							أبنية صفات
فَعَال	فَعَلَ	فَعَّلَ	فُعِّلَ	فُعِّلَان	فَعِلَ	فَعِيل	فَاعِل
حساس	أبد	خب	وكة	خزيان	بطر	هنيء	هارب
مساس	سعد	طب	تكله	سوان	أشر	مريء	قارب
فلاس	ثمر	غض	لومة	صلتان	نذل	غني	باجس
سلاس	كثر	بض	نومة	فلتان	رذل	ملي	ماكس
قفار	شغب	غيض	أمنة	عتان	وير	قسيم	خائب
عفار	جغب	فيض	أذنة	صفتان	هبر	وسيم	هائب
	ندى	عال	طلعة		أرب	جديد	مائق
	سدى	مال	قبعة		جرب	قشيب	دائق
		ساحة			لحز	سجيس	سادح
		راحة			لصب	عجيس	رادح
		شابة			وكح	أسيف	بادي
		ثابة			شقح	عسيف	قادي
		خسل			مرس	سنيح	واحد
		فسل			ضرس	فنيح	فاحد
		جوع			رثع	طريح	سامك
		جوس			دنع	طليح	تامك
		قبش			هكع	حريب	ثاغية
		ريش			شكع	سليب	راغية
		بذ			هلع	وحيد	سار
		فذ			جشع	قحيد	بار
		شوب			ولع	مطيع	خاسر
		رولب			تلع	مصيع	دامر

ب- جدول اتباع الابقاع

أبنية الأفعال	أبنية الأسماء والصفات				أبنية الصفات					حروف الاتباع
	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	فعل	
	بلغ	بلغ	حساس حساس	شمر مذر	غور مور		مذر مذر	عزيز مزيز	فاضح ماضح	م
لا يجدي ولا يمدى		مياط مياط	نمد معد		سهد مهد		نعر معر	سليخ مليخ	حائل مائل	
لا يدالس ولا يوالس				خرش مرش			شمر مذر	ليل مليل	حارن مارن	
لا نريت ولا تلت							خضر مضر	محيص مفيص	خازن مازن	
لا بارك الله فيه ولا تارك				غرج موج			صقر مقر		هانع مانع	
لا أهاتيك ولا أوأتك				ماج ماج						
لا يخير ولا يميز + حياك الله ويياك				خير مير						
			حس بس	مس بس	ملعة بلعة			كثير بشير	حائر بائر	ب
حظيت ورضيت وظيت	حل بل			صخرة بخرة						
مأله ؟ خصاه الله وخصاه وأصاه	حس بس		شمر بفر	حدرة بدرة				ضئيل بئيل	حانق بانق	
	عجر بجر		خطا بظا	بوكة بوكة				خصي بصي	صانك بانك	
	مجل بجل			ملا بلة						
				خاز باز						
				كظ بظ						
				حيص بيض						
				حوت بوث						
				مش بش						
				فظ بظ						
				لق ببق						

تابع جدول ب

حروف الاتباع	أبنية الصفات				أبنية الأسماء والصفات				أبنية الأفعال
	فَاعِل	فَعِيل	فَعْل	فَعْلَان	فُعْلَة	فَعْل	فَعْلَان	فُعْل	
								مهل بهل	
								سناخ باخ	
ل	سناخ لانخ	نويص لويص	شكس لكس	شبطان لبطان	همزة لمزة	كزلز	سبد لبذ	لواق لماق	سيف ليف
	ساغب لاغب	شقيح لقيح	صمخ لمخ		هكمة لكمة	فدم لدم	عبكة لبكة	قطاة لطاة	
	خائب لائب		دعب لعب		صمعة لمعة	ماع لاع	هيس لبس	كماج لماج	
	هانخ لانخ		عوز لوز			سامة لامة		وكاعة لكاعة	
			عوق لوق			مفت لفت		مراء لواء	
			وعق لعق			حاجة لاجة			
ن	جائع نائع	خبيث نبيث	حقن نقر	عظشان نطشان		رأمة نامة	حيض نبض		رجس نجس
	حائل مائل	ضعيف نعيم				نافه نافه	حقن نقر	ثقة نفقة	
	عاقلة نافطة	شمخير نخير	فقه نفقه						
ا		شحيح نحيع							
	حانة آنة	شديد أديد	أشمر أفر	أشمران أفران		عيص أيص	سفل وغل	ظلال الال	
	خائل آنل	عريض أريض	عبد أيد	أسوان أتوان		عك أك		حصاة أصاة	
		كميص أميص		عيمان أيمان			مشاش أشاش		
وحي	ناعس واعس	فقير وقير	سفل وغل	حران يران		حار يار	هير وير	خراب يباب	
	١٨	١٧	١٦	٦	٤	٣١	١٢	١١	٨

الهوامش

- (١) أنظر في موضوع اللغة الموحدة (قضية التحول الى الفصحى ص ٦٥)، و(في الأدب الجاهلي ص ١٠٣).
- (٢) أنظر معالجات حول هذه المسألة، في (كتاب الانصاف في مسائل الخلاف ص ٧٠)، و(في أصول التفكير النحوي ص ٢٨٩)، و(أوجه الخلاف في النحو لدى البصريين ص ١٠٠).
- (٣) انعكست دراسة اللغة على الموضع الجغرافي عند العرب، وارتبطت الفصاحة بالبادية، مما أسفر عن فقر شديد في تصور حاجات المدينة آنذاك، وعن غنى لا حد له في تصور لغة البادية، ونباتها وحيوانها، وأماكنها، وعادات أهلها بعكس ما عليه الأمر حالياً واستقر في ذهن البدو أن لغتهم حجة، فاستثمر الثابة منهم تلك الخصيصة، ووظف مهاراته اللغوية بضاعة تُسرى وتُباع وتُشد إليها الرِّحال. فاذا تحضر البدوي فاستبدل بأكل الضب واليربوع أكل المالح والبقل، والكواميخ والشواريز وغيره، مما تقدمه حواضر الأمصار فهو عندها يصير لين الجلد، وتهرب منه الفصاحة، ويكاد فعل اللغويين العرب بهذه الشاكلة يجعلهم بدعا بين علماء اللغات الأخرى. أنظر (الخصائص ٢/٢٠٤)، (التطور للسامرائي ص ٢٢).
- (٤) يتذكر المرء المدرسة اللغوية الكبيرة التي تشكلت في المستعمرة اليونانية بمصر في مدينة الاسكندرية. فقد كان لغويوها يرون الفصاحة والصحة اللغوية لا في لغتهم، بل في لغة موطن أسلافهم في اثينا. وظل حالهم كذلك زمنا طويلا يحاكون الأدب الاثيني ويعيدون له الجدة، وأثرت تقاليدهم في الرومان وفي السريان، وورث العرب التراث الثقافي لتلك الأمم في الشام والعراق ومصر، واتكأوا عليه كثيرا في المنهج الأولى، ولم يتخلصوا منه نهائيا في استقلال منهجيتهم اللاحق، وانظر (حضارة الاسلام ص ٢٣٠)، و(John Lyons P. 71).

- (٥) أنظر مادة (ت، ب، ع) في معجمي التاج ومقاييس اللغة.
- (٦) لمزيد من الفائدة نللم أنواع الإتباع التي ترد عند غير اللغويين وهي :
- أ. إتباع التُسجُّيع : وهذا فن متأصل عند العرب كثيرا، وشغف به عدا الشعراء كتاب كبار مثل : الامدي (٢٧١هـ)، والتوحيدي (٤١٤هـ)، وابن شهيد (٤٢٦هـ). ومنه قول التوحيدي في المقابسات (ص ٥٨) : « والذي أقوله وأعتقدُه وأخذ به، أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر الا ثلاثة لو اجتمع الثقلان في تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد وهم : الجاحظ ، والدينوري، والصابي ».
- ب. اتباع المُشاكَلَة: وأغرم به في القرن الرابع معظم كتاب الرسائل المطولة، واستطاع الصابي (٣٨٤هـ) أن يحقق لنفسه به مرتبة ترتفع على أقرانه من المسلمين إلى رياسة ديوان الرسائل في خلافة بني بوية، ورسائله موجودة، أنظر (النثر الفني ٢/٣٦٣) لزكي مبارك.
- ج. إتباع التُّجنيس : وله محل عال في نثر وشعر أدباء عصر الطوائف، وكثير ممن تعاطوه كانوا وزراء أو ذوي شأن مثل : صاحب بن عباد (٣٨٥هـ)، والهمداني (٣٩٢هـ)، وابن العميد (٣٩٥هـ)، والخوارزمي (٣٨٣هـ)، وانظر مكتوبات الخوارزمي في (مفاتيح العلوم ص ٧٢).
- د. إتباع المُماثَلَة (التَّناسُب) : وهذا النوع له تماس بظاهرة المماثلة والمخالفة فهاتان الظاهرتان لهما تأثير في تشكيل البناء اللغوي في العربية ، وقد تُرتكب لهما أمور من مخالفة الأصول، كما يلحظ في قضايا الإدغام والنَّثر والإتسجام بين الأصوات والحركات والفاصلة القرآنية، ومن أمثلته :
- «أَيْتُكُنْ صاحِبَةُ الجَمَلِ الأَدِيبِ، تَتَبَّحُها كَلابُ الحَوَابِ» والقياس الأدبُ، والفك للمماثلة مع مأجورات. أشباه السيوطي (٢٠/١).
- «ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ» أشباه السيوطي (٢٠/١).

- وهمة ما زورات للمماثلة مع مأجورات،
- «أتيك بالغدايا والعشايا» البيان في غريب القرآن (٤٨١/٢)، جَمْع غُدوة على غُدوات وليس على غدايا كما هي في التمثيل، ولكنه ورد كذلك للمماثلة مع عشايا.
- قراءة «الحمد لله» بكسر الدال أو بضم اللام، برهان الزركشي (٤٣١/٣)، والقراءتان أثر من المماثلة الرجعية أو التقديمية بتأثير من قانون الخفة وسرعة النطق.
- «وجئتُك من سبأ نبأ» بتنوين سبأ، اتقان السيوطي (١٨٤/١) وهذا بتأثير المماثلة بين الصوامت.
- ومما يرويه نحويونا الأولون: «هذا جُرحٌ ضَبُّ خَرَبٍ» معاني الفراء (٤٧/٢) وهذه مماثلة تتبع الخفض الخفض. وانظر في هذه المسائل: (التطور النحوي ص ٢٨).
- (٧) تذكر الاحصائيات لجذور معجم الصحاح أنها (٥٦٤١) مادة، ولجذور التاج أنها (٧٥٩٧) وفي إحصائيات ظافر يوسف يُذكر (٢٦٤) وزنا اسميا و (٤٤) وصفيا، وفي إحصائيات «فرتز» عن العبرية في لغة الجامعات يُذكر (٢٤٢) وزنا اسميا، (٤٣) وزنا للصفات.
- (٨) نشطت في القرن الرابع الهجري اللغويات النظرية العربية، والتفت أهل الصنعة إلى الجوهر الحقيقي للغة كظاهرة مجردة، وقادهم ذلك إلى رؤى لغوية متقدمة في تفسير حركية اللغة، وكانت مسألتا «الاشتقاق والتأصيل» أبرز اهتماماتهم، وفي أوائل القرن العشرين اهتمت المدرسة الاستشراقية الألمانية بهاتين المسألتين كثيرا. عند جزيونيوس، وفورست، وبروكلمان، ولاجاردي وبارت، وفرانكن برج، وهم الذين تأثر بهم المشرقيون أمثال: الشدياق، وجورجي زيدان، والكرملي والومنيكي والعلايلي، وانظر رؤى سامية في الموضوع عند:

- * Barth, J. Die Nominalbildung in den semitischen sprachen, P. 124.
- * Frankeberg, W. Der Organismus der semitischen wortbildung. P. 74.

Delagarde, P. Übersicht über die Bildung der Nomina, P. 25.

(٩) كان من ثمرة البحث اللغوي المتجدد في علم بناء الكلمات أن ظهرت مدرستان، مدرسة نظرية الأنساب «genealogisch» ومدرسة الأنماط التركيبية «Typologisch» والأولى تصنف اللغات إلى أسرات مثل السامية والحامية والسلافية والجرمانية وغيرها. الثانية رغم أنه لم يتحمس لها لغويون كبار بعد مؤسسها «Schlegel» إلا أنها مفيدة في إعطاء تصور عن فكرة عالمية اللغة فهي تقسم اللغات إلى لغات عازلة Isolating Languages ، ولغات الصاقية Agglutinative languages ولغات دمجية Synthetic languages ، ومعنى العزل : هو أن تضم اللغات كلمات مبنية على صورة ثابتة لا تبدل وتتحدد هويتها الصرفية من خلال علاقات التركيب وتكثر في الصينية، ولها أمثلة في العربية في الأدوات. والضمائر والحروف، ومعنى الإصاق هو أن تكون الكلمات ملتصقة مع بعضها مع إمكانية لمح للصورة التاريخية الأسبق كما هو في التركية والكورية. ومن أمثلته في العربية : مركب الإيقاع الإيقاعي وما يشبهه من المبنيات على فتح الجزأين، ومعنى الدمج أن تكون الكلمات ممتزجة في وحدة لغوية متينة يدركها أصحاب الصنعة اللغوية وتكثر هذه الطريقة في الفارسية والألمانية ، ولها أمثلة في العربية في المركبات المزجية، وأنظر :

David Crystal, Einfuhrug in die linguistik, P. 123.

(١٠) يعالج التكرار اللفظي في كتب التراث النحوي والبلاغي تحت مصطلح «التوكيد

اللفظي» كما هو (في علوم البلاغة، ص ٣١٨)، و(من بلاغة القرآن ص ١٤٣).

(١١) انظر وصف الأصوات السابقة : (علم الأصوات ص ١٠٨)، (الأصوات اللغوية

ص ٤٢)، (علم اللغة العام ص ١٣٦).

(١٢) النون صوت لازم في سور عدة من القرآن الكريم في الرحمن والحشر والعنكبوت

ويونس والأعراف. وحذف النون كي يتم النغم وتنسجم رؤوس الآيات ملحوظ
كذلك في القرآن وبخاصة في وزن «فاعلة» في الفاشية والواقعية والحاقة
والنازعات.

- (١٣) انظر فكرة التحويل الداخلي عند هنري فليس في (العربية الفصحى، ص ١٤١).
(١٤) أنظر (ت.ب.ع) و (ح.و.ث) في تهذيب الازهري والتاج ومعجم Lane.
(١٥) أنظر وصف الجيم قديما في « بقايا اللهجات العربية » لأنوليتمان في (مجلة كلية
الآداب ١٩٤٨م). وفي المدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب ص ٢٢١.
(١٦) أنظر في أمثلة الاتباع الأجنبية :-

Klaus Hansen, p. 5-31, wolfgang Fleischer. p 234, Arthur Jeffery, p. 283.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

- ابن الأثير، ضياء الدين : **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ت. محمد البنا، القاهرة، ١٩٥٥.
- ابن الأنباري، أبو البركات: **البيان في غريب القرآن**، ت. طه عبد الحميد والسقا، ١٩٧٠.
- ابن جعفر، قدامة : **جواهر الألفاظ**، ت. محمد محي الدين، بيروت، ١٩٧٩.
- ابن جني : **الخصائص**، ت. محمد النجار، القاهرة ١٩٥٢.
- ابن حمزة، علي : **التنبيهات على أغاليط الرواة**، ت. الراجكوتي، القاهرة، ١٩٦٧.
- ابن دريد : **جمهرة اللغة** «معجم» طبعة بولاق، ١٣١٦ هـ.
- ابن سيده : **الخصص في اللغة** «معجم» طبعة بولاق، ١٣١٦ هـ.
- ابن فارس :
- * **الإتباع والمزاوجة**، نشر Brunnow في Giessen، ١٩٠٦.
- * **مقاييس اللغة**، «معجم» طبعة القاهرة، تحقيق، هرون، ١٣٦٦ هـ.
- ابن قتيبة :- **عيون الأخبار**، القاهرة، ١٩٧٣. - **المعاني الكبير**، طبعة القسطنطينية، ١٩٤٩.
- أبو الطيب اللغوي: **الإتباع**، تحقيق، عز الدين التنوخي، مجمع دمشق، ١٩٦١.
- الأزرقى : **أخبار مكة**، تحقيق، رشدي ملحس، بيروت، ١٣٥٢ هـ.
- الأزمري : **تهذيب اللغة** «معجم» طبعة هارون، القاهرة، ١٩٦٤.
- الأصبهاني، عماد الدين: **الفتح القسي**، ت. محمد صبيح، القاهرة، ١٩٦٠.
- الأنباري، كمال الدين : **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ت. محمد محي الدين، القاهرة، ١٩٥٣.
- التوحيدي، أبو حيان :- **المقابسات**، تحقيق، محمد توفيق حسين، بغداد، ١٩٧٠. -
- البصائر والذخائر**، تحقيق، ابراهيم الكيلاني، القاهرة، ١٩٦٤.

- الخوارزمي : مفاتيح العلوم، القاهرة، ١٣٤٢ هـ.
- الدميري، كمال الدين : حياة الحيوان الكبرى، المكتبة الإسلامية، بيروت.
- الدولابي : الكنى والأسماء، تحقيق، صلاح العربي، القاهرة، ١٩٧٠.
- الزبيدي : تاج العروس، «معجم» طبعة القاهرة، ١٣٠٦ هـ.
- الزركشي : البرهان في علوم القرآن، ت. أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٧.
- السيرافي : أخبار النحويين البصريين، ت. خفاجي، القاهرة، ١٩٥٥.
- السيوطي :
- المزهر في علوم اللغة، ت. محمد أبو الفضل وآخرين، القاهرة، ١٩٥٨.
- الأشباه والنظائر، تحقيق، عبد الله النبهان، مجمع دمشق، ١٩٨٥.
- الفراء : معاني القرآن، تحقيق، محمد النجار، القاهرة، ١٩٥٥.
- القالبي، أبو علي : الأمل : طبعة بولاق، ١٣٢٤ هـ.
- الموسى، نهاد : قضية التحول إلى الفصحى، عمان، ١٩٨٧.
- بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن، القاهرة، ١٩٥٠.
- برتيل، مالمبرج: علم الاصوات، تعريب عبدالصبور شاهين، القاهرة، ١٩٨٤.
- برجستراسر : التطور النحوي، تحقيق، رمضان عبدالنواب، القاهرة، ١٩٨٢.
- بشر، محمد كمال : علم اللغة العام، الأصوات، القاهرة، ١٩٧٣.
- ثعلب، احمد بن يحيى : مجالس ثعلب، تحقيق، هارون، القاهرة، ١٩٤٩.
- جرونيباوم، جوستاف : حضارة الإسلام، ترجمة العبادي وجاويدي، القاهرة، ١٩٥٦.
- حسين، طه : في الأدب الجاهلي، القاهرة، ١٩٤٧.
- ستكنيتش : العربية الفصحى الحديثة، ترجمة، محمد حسن، القاهرة. دار النمر.
- سليمان، فكري: أوجه الخلاف النحوي لدى البصريين، مخطوطة ماجستير بدار
الاسن، ١٩٨٣.
- شاهين، عبدالصبور: دراسة إحصائية لجذور معجم التاج، جامعة الكويت ١٩٧٢.
- ظافر، يوسف : أبنية الأسماء المستدركة على سيبويه، مخطوطة ماجستير
بجامعة حلب، ١٩٨٤.

إتباع الإيقاع في اللغة العربية مقارنة السنية في حركية اللغة

عبدالتواب، رمضان، : **المدخل إلى علم اللغة العربية**، القاهرة، ١٩٨٥.

ليتمان، أينو: **مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول «مقالة»** م ١٠، ج ٢، سنة ١٩٤٢.

مبارك، زكي: **النثر الفني في القرن الرابع**، دار الجيل، بيروت

المراجع الأجنبية

Barth, J. : *Die Nominalbildung in den semitischen sprachen*, Leipzig, 1984.

Bunting, K. : *Einführung in die Syntax*, Athenaum. 1979.

Crystal, D.: *Einführung in die Linguistik*. Kohlhammer. 1971.

Delagarde, P. *Übersicht über die in aramaischen, arabischen, and hebraischen ublische. Bildung der Nominca*, 1889.

Fleiseher, W. *Wortbildung der deutschen Gegenwartsprache*, gessen 1886.

Fritz, W. *Die wortbildung der hebraischen adektiva*, wiesbaden, 1983.

Hansen, K. *Rein und Ablautverdoppelungen*, in *Zeitschrift. anglistik and Amerikanistik*, 12, 1964.

Jeffery, A. , : *Foreign vocabulary of the Ouran*, Baroda, 1938

Lane, E. *An Arabic = Englisch - Lexicon*. Lebanon. 1968.

Lyons, J.: *Einführung in die moderne Linguistik*, Munchen. 1984.